الفصل السادس

وصية حمار بين النقد الساخر وفلسفة الضحك

ثورة وتمرد

درج كبار المصلحين والأنبياء والأولياء والحكماء والفلاسفة كتابة خلاصة دعواتهم ورسالتهم وفلسفتهم، وما كان يأملون فيه، وما يرجون تحققه من خلفهم، وذلك في صورة وصية مكتوبة أو شفهية تحمل بين طياتها الكثير من الحكم والمواعظ والتحذيرات من ارتكاب بعض الأفعال أو الانصياع والميل إلى ما يناقض جوهر دعوتهم.

غير أن هذه المرة نجد الحمار هو الذي يكتب وصية يعظ ويحذر فيها! ولا ينبغي علينا أن نتعجب؛ وذلك لأن حمارنا هو أشهر حمار في تاريخ الحواديت والحكايات، فهو حمار جحا الذي طالما أكد في مواقفه من أحداث الواقع، أنه ليس ذلك الموجود الغبي الذي لا يعي إلا طعامه وشرابه، ولا يسمع إلا لأوامر صاحبه، أو من يركبه. وكان يرى نفسه أذكى بني جنسه، بل يفوق الإنسان أحياناً في تقديره للأمور. وأن كل ما كتب عنه من أخبار محض كذب وافتراء، وتجاهلاً لمقامه وقدره.